صيحة على الأدب المغربي

الملحق الثقافي لجريدة المغرب

السنة الثانية - العدد 5 - الخميس 4 ربيع الأول عام 1357 الموافق 5 ماي سنة 1938

أدباء المغرب اليوم صنفان: - أديب شاخ فبصره لا يقوى على أن يرى من الحياة إلا المادة كتلا كتلا فهو يحرص على ما يرى وهو شغوف بحياته تلك لا يفكر في سواها لأنه لا يعلم سواها، فأدبه - إن سمى إنتاجه أدبا - أدب صناعي تحيط به الفكرة الاستغلالية، ويشمله الارتزاق، وتتصل به المنفعة، فهو ينحصر في قصيدة منظومة أبيات تستمدح عظيما، وتستمطر نعيما في مناسبة وغير مناسبة، فقصائدهم - ولك أن تقلب القاف عينا - على منوال واحد لأن مرماها واحد سواء مدحت أو هنأت أو رثت، فأدبهم لا يمثل قديما خالدا ولا جديدا حيا، وإنما يشابه أدب عصر ولى الادبار، ولم يترك من الآثار إلا ما ندرس في مجموعه من عوامل التأخر ومسببات الانحطاط لكل أمة ألقت بنفسها على سرير الجمود فاستراحت أمدا ولم تشأ أن تستيقظ من سباتها الطويل. - وأديب شاب ولكن قلبه لا ينبض نبض الشباب وحياته لا تمت بصلة للحياة الزاخرة المنفعلة بأطماع الفتوة وأحلام الشباب، فهو قنوع بلقمة خبز، وهو راض عن أسباب المسكنة التي تحيط به من كل جانب، وهو مستسلم لعوادي الدهر لا يتأفف، وخاضع لأي تأثير يحمله على أن يعيش في آخر الرتب، فهو شاب بسنه ولكنه شيخ وأقل من الشيخ مقبور الروح مدفون الأحشاء لا يتلمس مخرجا ولا يناجي أملا. ولعلي أكون صريحا إذا أعلنت في غير تردد أن الشباب المغربي لم يولد أديبا يستطيع أن يتحمل رسالة الأدب في الحياة، فالشباب المغربي شغل نفسه وعن الأدب بأمور أخرى فأصبح بعيدا عنه لا يخطر له ببال إلا في بعض

ساعات تكاد تعد عدا في حياته. شغل الشباب المغربي نفسه عن الأدب بأمور تعددت وتباينت ولكنها جميعها تخضع لتيار واحد وهو ضيق نظره للحياة، فبعد أن تمر عليه شبه أيام من الأمل الباهت في فجر حياته المدرسية تراه بعد قليل طمس نفسه في رتبة يتعشق فيها تسدي له دريهمات معدودة، فإذا هو من هذا الشعب الذي يسيطر عليه الخمول والذي أذاقه الجهل من النكبات ما هدم ركن حيويته وجعله شبحا يسير في الشارع، يترامى على سبل الحياة ولكن الفشل يقف في وجهه سدا منيعا. شغل الشباب المغربي عن الأدب أو شغلته بيئة موبوءة لا تتصل بها حتى تعديك فتخر لها صريعا لا تعي ما تفعل، ولا تفكر في نتيجة ما تفعل؛ فالمفاسد التي تميت الروح وتجعل من الجسم الإنساني جسما حيوانيا تعارض طريقك، تقف في وجهك، تنادي غرائزك، وتثير فيك أحط الانفعالات، فلا يقوى الشباب على التخلص منها لأن تربيته غير متينة ولأن ثقافته سطحية ولأن الأدب لم يحتل أعماق نفسه، فيدرك أن هناك حياة أسمى من حياته وأن هناك حواسا أنعش للإحساس من هذا الجو المخنوق الذي يتخبط فيه. لذلك فليس للشباب أديب يطمح أن يخترق هذه السدود الفولاذية التي تقف بينه وبين النور، وليس هناك من فرق بين شيخ يدعي الأدب وبين شاب يذكر الأدب، فكلاهما لا يشبع فهم هذا الجديد الذي أصبح يتطلب المتعة والجدة وأصبح يتلمس في أحشائه شبه دبيب، ينزع به إلى خلع هذه الأطماح البالية، ذلك الدبيب الذي يصبح عاملا مهما في تكوين حياة جديدة لهذا الشعب. فليفكر الشيخ الأديب في تلك الحياة وليسع أن يتصل بتياراتها، فإذا استطاع كتب لأدبه الخلود، وكانت صيحته مدوية ردده الجيل واستوحى من شيخه الماضي الرائع. وليستعد الشاب الأديب أن يحرر نفسه - أولا - وأن تختمر نهضة بلاده في اتجاهاته لينطلق من قفصه المهجور بعاطفة متأججة ونظر نير إلى فضاء واسع ينشد الحرية من جميع نواحي الحياة لبني جنسه والمجد لبلاده. وبذلك وحده يستعد الأديب المغربي لصيحة على النهضة المغربية الحقة ويقدر مهمته تقديرا صحيحا.